

شرح متن الورقات للشيخ محمد بن هادي المدخلي (حفظه الله)

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد:
كلامنا بالأمس الذي تقدم عن ما يتعلق بالأصول والكتب النافعة أو المأمونة التي صنفت فيه وما حصل من
الخلط وإدخال علم الكلام على حد تسميتهم له هم بأنه علم وإلا فنحن لا نسلم بأنه علم بل هو جهالات
لا يحتاج إليه الذكي كما قلت ولا يستفيد منها الغبي ، فكلمة مختصرة عن مصنف هذه الورقات ثم ندخل ان
شاء الله تعالى في الكتاب باذن الله (جل وعلا) فمصنف هذه الورقات هو أبو المعالي الجويني ، هذه كنيته
ويلقب بإمام الحرمين فأما هذه التكنية فهي من باب التفاؤل وتفواؤلاً له بان يكون ساعياً إلى معالي الأمور
ومجتهداً في تحصيلها مجاناً للكسل والدعة التي لا فائدة فيها ولا تعود للإنسان بخير ، وأما تلقيبه بإمام
الحرمين فذلك لأنه قد رحل من بلده إلى بلد العرب حيث كانت بلدة الجوين من أعمال نيسابور فرحل منها
إلى بلاد العرب في العراق ثم الحجاز فمكث في مكة المكرمة أربع سنين وهو يجمع ويدرس ويستفيد ويجمع
في مذهب الإمام الشافعي ومن أوائل ما كتب من المصنفات الكبيرة في معرفة مذهب الشافعي كتابه
المشهور الذي طبع مؤخراً في هذه الأيام وهو كتاب جليل يقع في عشرين مجلداً في مذهب الإمام الشافعي
والمسمى بـ (نهاية المطلب في معرفة المذهب) يقال عنه انه لم يؤلف في مذهب الشافعي إلى حين كتبه لم يؤلف
مثله فالشاهد انه مضى أو أمضى في مكة أربع سنين يستفيد ويجمع مذهب الشافعي وأقواله ويصنفها ودرّس
بالمسجد الحرام وأفتى ثم بعد ذلك أنتقل إلى المدينة فمكث مثلها تقريباً وهو يُدرّس ويستفيد ويفتي فمن
هنا لقب بإمام الحرمين لكونه مكث مدة بالمدينة وبعدها مدة بمكة فهذا هو اللقب وهذه هي الكنية ، كنيته
أبو المعالي ، ولقبه إمام الحرمين ، وأما نسبته فهي الجويني نسبة إلى جوين ، بضم الجيم وفتح الواو وإسكان
الياء ، جوين وهي قرية من قرى نيسابور ، وأما إسمه فهو عبد الملك ابن عبد الله أبو يوسف ابن محمد
الجويني نسبة إلى بلده هذه ، وقد كان والده من كبار علماء الشافعية بل هو كبيرهم في قطره فليس بغريب
أن ينشأ الجويني نشأة علمية من صغره محبباً إليه العلم فقد اعتنى به والده من الصغر وكان أيضاً على درجة
عالية كما ذكرنا بالأمس من الذكاء ومن الحافظة التي كانت عنده وآتاه الله (سبحانه وتعالى) إياها ،
فالشاهد أعانه ذلك على الطلب وأعانه ذلك على الفقه والتأصيل وقد رحل رحلته هذه والتي استمرت

عشر سنوات وهي مفرقة ما بين مكة والمدينة وبلاد العراق فالشاهد هذا اسمه ، ووالده كان مرجع الشافعية في قطره بل هو فقيه الشافعية على الإطلاق في قطره ، وعمه أيضاً كان من فقهاء الشافعية الكبار وقد تفقه أيضاً على عمه وتخرج بوالده وقد كان والده من المصنفين المشهورين فأول ما بدأ على والده بقراءة مصنفاته ثم بعد ذلك انتقل الى بقية الفنون ، اما عقيدته فانتم قد سمعتموها بالامس والكلام الذي فيها وتخليطه (رحمه الله تعالى) والكتب التي صنفها كثيرة ومن اشهرها الذي اخذ الشهرة الفائقة هذا الكتاب على صغر حجمه فقد كثرت الشروح عليه وتعدت حتى تجاوزت المائة شرح ، ومن كتبه هذا الذي ذكرنا في معرفة مذهب الشافعي وهو (نهاية المطلب في معرفة المذهب) ومن ذلك (البرهان) ومن ذلك (الغياثي) فهذه كلها من تصانيفه (رحمه الله تعالى) فهذا شيء مختصر عن حال هذا الرجل وطرف من اخباره وكانت ولادته على اربعمائة وتسعة عشر يعني انتم الان في اربعمائة وتسعة وعشرين فيصير الفارق كم ؟ الف وعشر سنوات ، وهذا من الطريف انه بينك وبينه الف وعشر سنوات ، ومن أشهر شيوخه بعد والده الحافظ أبو نعيم ومن أشهر تلاميذه ممن ذكرنا بالأمس الغزالي وإلا هناك تلاميذ مشاهير ولكن من أشهرهم الغزالي لا يكاد يجله طالب علم فمن أشهر تلاميذه الغزالي ومن أشهر شيوخه الحافظ ابو نعيم الاصفهاني رحم الله الجميع ، اما وفاته فكانت سنة ثمانية وسبعين واربعمائة من هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد كان كما ذكرنا لكم بالامس في اول امره بل في اكثر عمره كان على اعتقاد اهل الكلام الاشاعرة فكان على عقيدتهم حتى كتب الله له الخير في آخر حياته فكان رجوعه الى مذهب السلف بالجملة ، وكلنا نعرف قصة (حيرني الهمداني) الذي ساله في مسألة المصنفات قال له: دعك من هذا كله ما تقول في الضرورة التي يجدها احدنا في نفسه اذا نزل به امر فيجد في نفسه ضرورة لا يستطيع دفعها حيث يتجه الى الاعلى لان اهل الكلام ينكرون علو الله (سبحانه وتعالى) فهنا كانت بداية التحول فحاول ان يجد حلاً لم يجد حلاً فما كان امامه الا ان عاد بعد ذلك الى ما كان عليه السلف واثبت ذلك في عقيدته النظامية في الجملة ، والا فعنده باقي بعض الاشياء لمن تدبر هذه العقيدة واما كتبه فهي لم تخلو مما كان عليه في طريقته الاولى التي كانت قبل رجوعه .

هذا مختصر في حال امام الحرمين (رحمه الله تعالى) صاحب هذه الورقات .

المتن: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين قال الامام ابو المعالي الجويني رحمه الله تعالى في كتابه الورقات:

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى أصول الفقه

هذه ورقات تشتمل على فصول من أصول الفقه وذلك مؤلف من جزأين مفردين

فالأصل ما بني عليه غيره والفرع ما بينى على غيره

والفقه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد .

الشرح: قال رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح كتابه او ورقاته هذه بالبسملة وهذا الافتتاح منه ومن

سائر علماء الاسلام (رحمهم الله جميعاً) اقتداءً بكتاب الله (تبارك وتعالى) فانه مفتتح بالبسملة على هذا

الترتيب الذي بين دفتي المصحف يفتتح المصحف بسورة الفاتحة واولها البسملة على خلاف بين العلماء هل

هي آية منها او ليست اية منها ؟ والذي يظهر عندي انا انها آية منها:

ثم أقرأ ان ام الكتاب انها بالنص لا تجزي صلاة دونها

فرض على الامام والمنفرد محدب مختلف في المقتدي

والنص فيه وارد فهو السبب فكيف لا يناله يا للعجب

وهي من الايات سبع مكملة وهي المثاني السبع ثم البسملة واحدة منها بلا تردد

فهذا الذي يترجح عندي والعلم عند الله (تبارك وتعالى) فالشاهد ابتداءً من العلماء بكتاب الله (تبارك

وتعالى) فإنهم يبدءون كتبهم بالبسملة ويفتتحونها بها وبعضهم يقتصر عليها وبعضهم يزيد عليها فالمصنف

ابتدأ بها اقتداءً بالقرآن وتبركاً بها واتباعاً لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يفتتح كتاباته بها ،

كان يفتتح كتاباته بالبسملة فكتبه التي وجهها وبعث بها كان يفتتحها بالبسملة وهذه الكتب قد جاءت في

كتب السير وفي كتب الحديث فمنهم من ساقها في اكثرها بدون بسملة ، التي وجهها رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) الى الملوك والى عظماء البلدان في زمانه عليه الصلاة والسلام ، منهم من ذكر كتب النبي (صلى

الله عليه وسلم) في اكثرها بدون بسملة ولم يذكر البسملة الا بقليل ، ومثال ذلك تجدونه عند ابن سعد في

الطبقات فانه اورد اكثر الكتب التي كتبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدون بسملة ، ما افتتحها

بالبسملة الا في شيء يسير منها ، ومنهم من أوردتها كلها او جلها بالبسملة الا القليل منها بدون بسملة

وهذا يعتمد على الطرق والروايات ، ومن ذكر ذلك الحافظ ابن القيم (رحمه الله تعالى) في زاد المعاد وكذلك

ابن طولون الدمشقي في كتابه (اعلام السائلين بكتب سيد المرسلين) (صلى الله عليه وسلم) وعلى كل حال

قد ثبت في الصحيح ان النبي (صلى الله عليه وسلم) لما كتب الى هرقل عظيم الروم كما في البخاري ومسلم

تجدونه افتتح الكتاب بالبسملة وكذلك في قصة صلح الحديبية فانه امر عليا (رضي الله عنه) ان يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قريشاً فكان ممن اعترض صهيب ابن عمر (رضي الله تعالى عنهم جميعاً فالشاهد هذان حديثان صحيحان في الصحيحين افتتح فيهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتابه بالبسملة وايضاً جاء في الحديث الذي نعرفه جميعاً: كل امر ذي بال لا يبدأ ببسم الله ، وهذا ضعيف جداً لا يصح: (كل امر ذي بال لا يبدأ ببسم الله فهو ابر أو اقطع أو اجزم) لكن بهذا اللفظ بلفظ البسملة ضعيف جداً لا يصح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم ثنى (رحمه الله) بالحمد وليس ذلك موجوداً في كتابنا الذي بين ايدينا وقد ذهب بعض الشراح الى ان المصنف (رحمه الله) لعله اكتفى بالبسملة كما هو حال بعض العلماء ممن سبق ومن هو في عصره ومن جاء بعده فقال اكتفى بالبسملة اختصاراً فلم ياتي بالحمدلة ، والحق ان هذه المسألة عائد للنسخ فمن لم يقع في نسخه ذكر للحمد فانه قال هذا القول وجمع من المحققين من علماء الشافعية وقعت بين ايديهم نسخ فيها اثبات الحمد ومن هؤلاء صاحب (الانجم الزاهرات) فانه ذكر في نسخه التي اعتمد عليها ذلك ومشى عليه وشرح ، فالحمد بعد البسملة مثنى به في بعض النسخ وهذا واللائق وهو الذي عليه اكثر العلماء فانهم يبدأون بالبسملة ثم يردفونها بالحمدلة اقتداءً ايضاً بكتاب الله العزيز وموافقة له فانه (سبحانه وتعالى) ذكر الحمد بعد البسملة في سورة الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) ويدل عليه ايضاً الحديث المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي رواه ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال: كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله او بالحمد لله فهو اقطع ، وهذا الحديث الذي يترجح عندي انه حديث حسن وانا تتبعته طرقة فوجدت ان الحق مع من حسنه والذين حسنوه هم ائمة كبار من ائمة الحديث وعلمائه فالذي يثبت عندي ان الحديث الذي فيه: (كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله او بالحمد لله فهو اقطع) ، او اللفظ الثاني: كل كلام ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو اقطع او اللفظ الثالث: كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجزم ، هذا الحديث حديث حسن ومن صححه الحافظ ابن كثير والحافظ الذهبي والحافظ ابن حجر وابن ملقن وغيرهم كثير وقال شيخنا (رحمه الله) كما في فتاويه في قسم الحديث الشيخ عبد العزيز (رحمة الله عليهم جميعاً) قال: هذا الحديث اختلف فيه فبعض اهل العلم يحسنه وبعضهم يضعفه والاقرب انه لا ينزل عن رتبة الحسن هذا موجود في فتاوى شيخنا (رحمه الله) وهذا الذي يترجح عندي بل هو قال انه من باب الحسن لغيره ، قال الاقرب انه لا ينزل عن رتبة الحسن لغيره وهذا الذي يترجح عندي ان هذا الحديث حديث حسن

وقد جمع اخونا فضيلة الدكتور عبدالغفور البلوشي في المدينة النبوية في الجامعة الاسلامية وهو الان باحث في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف جمع فيه جزءاً ودرسه دراسة جيدة اظن ان اسمه: (تحقيق المقال في جمع طرق حديث كل امر ذي بال) وقد جمع هذا الحديث من جميع طرقه وبين الالفاظ التي تثبت والالفاظ التي لا تثبت وقوله (صلى الله عليه وسلم): (كل امر ذي بال او كل كلام ذي بال) اي ذي حال يهتم به فيها فهو اقطع يعني ذاهب البركة ومثله ايضاً الجزم بالجيم والزاي اي مقطوع البركة ولهذا جرت سنة العلماء (رحمهم الله تعالى) على ابتداء المصنفات والكتب بالسملة ثم بعد ذلك بالحمدلة قال النووي (رحمه الله تعالى): (يستحب البداء بالحمد لكل مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخاطب) يعني الاشارة الى الخطبة التي تكون بين يدي النكاح فيقول النووي رحمه الله يستحب البدء بالحمد لكل مصنف ولكل دارس ، والشاهد من قوله: لكل مصنف ولكل دارس ولكل مدرس ولكل خطيب وخاطب ، وبين يدي جميع الامور المهمات ، ولذلك جرت سنة السلف كما قلت على هذا ، على الافتتاح في تصانيفهم (رحمهم الله تعالى) افتتاحها بالحمد والحمد هو من حيث اللغة الثناء ، واللام للاستغراق فكل فرد من افراد الحمد ثابت لله (تبارك وتعالى) الحمد في اللغة الثناء ، واللام في الحمد للاستغراق والمعنى ان كل فرد من افراد الحمد ثابت لله (تبارك وتعالى) فهو الذي يستحق المحامد لله (تبارك وتعالى) عن الحقيقة من كل احد والذي يستحق المحامد كلها عن الحقيقة من كل احد وفي كل زمان وفي كل حال وهذا قول الجمهور في (ال) الحمد خلافا للزمخشري ومن وافقه ، ولا يهمننا بعد ذلك فالراجع ما عليه جماهير اهل العلم من ان (ال) هنا للاستغراق وبالاصطلاح (الحمد): هو الثناء على الله ووصفه بالكمال والثناء على الله ووصفه بالكمال محبة وتعظيماً فان كان ها الثناء لا على وجه المحبة والتعظيم فهو المدح فانت تمدح من تحب وتعظم وقد تمدح من لا تحب ولا تعظم اما الحمد فلا يكون الا مقروناً بالمحبة والتعظيم ، وعلى هذا فالشكر يوافق الحمد ويخالفه فيجتمع معه في مطلق الثناء على الله (تبارك وتعالى) الثناء الحسن ويخالفه من وجه وسياتي ، وذلك يظهر لنا من تعريفنا للشكر ، فان الشكر: الثناء الحسن على الصنيع الحسن ، او على حسن الصنيع قولوا هذا وقولوا هذا ، فمن هذه الناحية يكون الحمد اعم من الشكر كيف ؟ ذلك لاننا نحمد الله (سبحانه وتعالى) في السراء والضراء ونحمده على احسانه سبحانه وتعالى على وجه التعظيم والمحبة ونحمده (سبحانه وتعالى) على صفاته وافعاله جل وعز فمن هذه الناحية الحمد اعم اما الشكر فلا يكون الا في مقابل النعمة فاذا انعم منعم عليك شكرته وان لم ينعم لم تشكره اليس كذلك ؟ اما الحمد فلا يحمد الله (جل وعلا) على عطائه وعلى

ابتلائه (سبحانه وتعالى) فيحمد في الحالين ويحمد على صفاته وافعاله فالحمد من هذه الناحية اعم ، والشكر اخص لانه لا يكون الا بمقابل الصنيع في مقابل النعمة فمن هذا الوجه كان الشكر اخص من الحمد ولهذا يقول العلماء الحمد اعم من جهة اسبابه والشكر اعم من جهة انواعه ، يعني الحمد لا يتوقف على الانعام كونه ينعم علينا (سبحانه وتعالى) بنعمة من صحة ، من مال ، من ولد ، فنحمده واذا لم ينعم لم نحمده ؟ هذا ليس حمداً ، فاذا كان على العطاء فهو الشكر ، واما اذا كان عاما في العطاء وفي الابتلاء وفي البلاء فانه الحمد وهو ايضاً من هذه الناحية يقال فيه انه اعم من حيث اسبابه يعني لا يتوقف على سبب الانعام عليك اذا انعم شكرت واذا لم ينعم لم تشكر لا ، حمدت في الحالة الاولى وحمدت في الحالة الثانية اما الشكر فلا يكون الا بمقابل الصنيع فهو اعم من جهة انواعه واخص من جهة اسبابه بعكس الحمد فالحمد على هذه الاسباب لا يكون حمداً وانما يكون مدحاً يكون شكراً ، لكن اذا لم تنظر الى هذه الاسباب تكون حينئذٍ حمداً ، الشكر اذا نظرت الى الاسباب فهو الشكر ، اذا نظرت ايضاً الى ما يتعلق به فانك تجد ان الحمد لا يكون الا بالقول واما الشكر فيكون بالقول واللسان والجوارح ولهذا يقول الشاعر:

افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والجوارح والضمير المجبا

فيكون من حيث المتعلق من هذه الناحية تكون اعم اما الحمد لا يكون الا بالقول (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) ، (وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب) ، فالشاهد اذا نظرت الى الحمد من جهة اسبابه واذا نظرت الى الشكر من جهة انواعه يعني يكون بكذا وكذا وكذا فهو اعم من الحمد فالشكر حينئذٍ يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح والثناء يكون فيهما جميعاً هذا في الشكر ، يكون بالقلب بالمعرفة ، والمحبة ، ويكون باللسان ، بالثناء الحسن ، ويكون في الجوارح بالاستقامة على الطاعة طاعة المشكور (لئن شكرتم لازيدنكم وان كفرتم ان عذابي لشديد) ، (اعملوا ال داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) هذا امر بالعمل ام لا ؟ في الجوارح ام لا ؟ (اعملوا ال داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) فاذاً الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح فالقلب بالمعرفة والمحبة واللسان بالثناء والمدح ، والجوارح باستعمالها في طاعة المشكور والشكر اخص من حيث الافعال كما قلنا ، والحمد اخص من حيث القول هذا يكون بالافعال وهذا لا يكون الا بالاقتوال فيحمد الله (سبحانه وتعالى) على كل حال من الاحوال التي نتقلب نحن فيها وما يحمد به اخص مما يشكر به كما يعبر عنه ايضاً بعض العلماء ،

ما يحمد به اخص مما يشكر به ، يا ابنائي ما يحمد به اخص مما يشكر به هذه العبارة هي نفسها لكن تنوعت فاذا جاءت في كتاب فهي هي ، ما يحمد به القول اخص مما يشكر به وهو القلب والقول واللسان ، فالعبارة هي نفسها لكنها تغيرت فقط والمعنى واحد .

وفي قرن الحمد باسم الجلالة وهو (الحمد لله) دون بقية الاسماء الحسنى له فائدة :

الاولى ان هذا الاسم وهو لفظ الجلالة هو اسم الله الاعظم عند اكثر اهل العلم .

والثانية: ان هذا الاسم علم على الذات الالهية اختص الله (سبحانه وتعالى) به فانت تقول مثلاً فلان رحيم لكن ما يمكن ان تقول فلان رحمن ولا يمكن ان تسميه بهذا الاسم (الله) والذين سمو الهتهم الهة قالوا الهة ولم يقولوا فيها انها الله (تبارك وتعالى) فالشاهد قرن الاثم هذا مثل الحمد في الاسم هذا و اضافته اليه فيها هاتان الفائدتان الاولى ان هذا اسم مختص بالذات الالهية فيعم جميع اسمائه الحسنى تضاف اليه ولا يضاف الى شيء منها كما في اخر سورة الحشر (هو الله الذي لا اله الا هو ... الايات) فالشاهد يضاف غيره اليه ولا يضاف هو الى غيره ، ثم انه هو الاسم الاعظم عند اكثر اهل العلم فلاجل هذا يضاف الحمد اليه ، وفي الجار والمجرور دلالة على الاختصار ، الحمد لله دلالة على الحصر على انه هو الذي يستحق الحمد من جميع الجهات على جميع انواعه فهو خاص به (سبحانه وتعالى) وقوله (رحمه الله): (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله) وليس هنا في هذه النسخة التي بين ايدينا وهو مثبت في بعض النسخ ومن ضمنها هذه النسخة التي بين يدي الاخ يوسف ، الحمد ثابت فيها وايضاً الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال المصنف (وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين) هكذا (واله وصحبه اجمعين) وهذا موجود في بعض النسخ فهذه الجملة جملة الصلاة على النبي لم ترد في اكثر المطبوعات وهي ثابتة في هذه النسخة وفي غيرها من النسخ الاخرى والصلاة من الله تعالى على رسوله هي الثناء عليه بالملا الاعلى ومن الملائكة الاستغفار ومن الادميين الدعاء وقد افرد المصنف هنا الصلاة ولم يردفها بالسلام وهذا خلاف الاولى فان الله (جل وعلا) امرنا بان ناتي بالاثنتين كما في قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) فامرنا الله (جل وعز) بالصلاة والسلام على النبي (صلى الله عليه وسلم) فالاولى ان يتبع لفظ القران ولا يكتفى بواحدة من الاثنتين فلا يقال (صلى الله على محمد) ولا يقال (عليه السلام) وانما يؤتى بالاثنتين لانها لفظ القران الذي امرنا الله (سبحانه وتعالى) به في قوله (صلوا عليه وسلموا تسليماً) الشاهد ان المصنف في هذه النسخ او بعض هذه النسخ ثبت فيها انه صلى على النبي (صلى الله عليه وعلى اله

وصحبه اجمعين) ، وكونه سيدنا (صلى الله عليه وسلم) هذا لا شك فيه فقد ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة انه سيد ولد ادم عليه الصلاة والسلام ولا فخر فهو اول من تنشق عنه الارض وهو اول شافع واول مشفع (صلى الله عليه وسلم) ، واما الاسم هذا محمد فلم يكن معروفاً قبل في العرب الى قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام بزمن يسير فما كان معروفاً هذا بين العرب (محمد) والسبب فيه كما ذكر اهل السير انه لما احتك بعض العرب بالنصارى في بلاد الشام ومن تنصر منهم وقرا في كتبهم راي الاشارة في بعضها بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فبدا هذا الاسم ينتشر في العرب قبيل بعثته تفاقواً كل واحد من هؤلاء يريد ان يكون ابنه هو هذا المنتظر والله (سبحانه وتعالى) يختص برحمته من يشاء فقبيل: انه لم يتسمى به قبل البعثة الا اربعة وقيل ستة وقيل سبعة ، فالشاهد ان التسمية بهذا الاسم لم تكن مشهورة في العرب وانما عرفت قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام بزمن يسير حرصاً من هؤلاء الذين سمعوا من هؤلاء الرهبان ، رهبان النصارى اهل الكتاب حرصاً منهم وتفاقواً منهم ان يصيب هذا الخير بيوتهم والله (جل وعلا) يختص كما قلنا برحمته من يشاء ، ومحمد (مضعف) اي كثير الخصال المحمودة وقد اهم الله (سبحانه وتعالى) اهله (صلى الله عليه وسلم) ذلك فسموه محمداً كما هو مشهور في كتب السيرة عن ام النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا مشهور في السير وان لم يكن له اسناد لكنه معلوم ويقول صاحب الالفية :

وليعلم الطالب ان السير تجمع ما صح وما قد انكرا

ففيها ما هو صحيح وفيها ما هو ضعيف فالشاهد هذا الذي عرف بكتب السير ان النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الاسم لم يكن في زمانه او قبله في كثير من يتسمى به الى قبيل بعثته فانتشر هذا الاسم وهذا من باب التفاقول وسمي عليه الصلاة والسلام بذلك لكثرة خصاله وقد قيل ان امه امنة لما حملته طاف بها طائف فقال لها: انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعت على الارض او اذا القيته على الارض فقولي اعيزه بالواحد من شر كل حاسد وسميه محمداً ، فلما وضعت قالت اعيزه بالواحد من شر كل حاسد وسمته محمداً ، والعرب تعرف معنى هذا الاسم انه كثير الحمد كثير الخصال المحمودة ويقال رجل محمد ومحمود اي كثير الخصال المحمودة ومن هذا قول الاعشى تذكرونه ؟ ماذا يقول الاعشى بمحمد ؟ يقول : اليك

ابيت اللعن كان كلالها الى الماجد القرن للجواد المحمد

اليك ابيت اللعن كان كلالها (يعني هذه وكلت اليك) ما هو ؟ من هو هذا المتعب للمطي اليه ؟ الماجد ، القرن الكبير في قومه ، الوجيه فيهم ، راجح الراي فيهم ، الذي يصدر عن قوله ورايه ، المقدم المعظم

القرن ، وهذا يعرف عند العوام الى الان الجواد المحمد يعني كثير الحمد كثير الخصال المحمودة وقد اشار الى هذا ايضاً حسان ابن ثابت في قصيدته الدالية المشهورة :

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

فيقال رجل محمد اي كثير الخصال التي يحمد عليها ، لا بد من حفظ الشعر يا معشر الاخوة والابناء ، لا بد من حفظه حتى يستدل به في محله ، يستدل به في محله ، فيلذ به الكلام طبعاً بعد كلام الله (سبحانه وتعالى) فهذا معروف عند العرب وكونهم لم يسموا هذا باب لكن كون المعنى عندهم معروف هذا باب وكذلك احمد لم يكن معهوداً في العرب وهو الاسم الذي اشتهر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر في القران مع محمد فانه ذكر في هذا وهذا فذكر (ما كان محمد ابا احد) وذكر (ومبشراً برسول يأتي من بعد اسمه احمد) فجاء هذا وجاء هذا حتى احمد لم يكن مشهوراً بين العرب الى قبيل البعثة ، فقيل انه تسمى به سبعة او نحو ذلك قريب من هذا العدد والحفظ يصعب لكنه لم يكن مشهوراً فان اول هذا المعنى معلوم وقوله (رحمه الله) (وصلى الله على سيدنا محمد واله) الال اسم جمع لا واحد له في اللفظ مثل رغو ومثل قوم فان هذا لفظ مفرد يطلق يراد به الجمع ليس له واحد في اللفظ يطلق على الواحد والجماعة قال: هؤلاء رهبوا وهذا جاء في رهب فهو يدل على الجمع لكن لا مفرد له من لفظه ، ومن هم الال؟ الكلام في تحديد الال طويل ، فالمذهب عندنا عند الحنابلة ان آل النبي (صلى الله عليه وسلم) هم اتباعه على دينه وان الذي تدل عليه النصوص انهم من تحرم عليهم الصدقة فهم آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من بني هاشم ، آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الاقدمين الاقربين بنو هاشم ، ثم بعد ذلك بنو المطلب وفيهم خلاف وهذا القول نص عليه الامام احمد (رحمه الله) الرواية عن الامام احمد والشافعي (رحمه الله تعالى) وفي بني المطلب خلاف والشافعي يرى انهم داخلون فيمن؟ في آل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا شك لو عدنا الى عمود النسب ، النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي يجتمع معه في جده الاعلى من بنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس هؤلاء اربعة ابناء من؟ ابناء عبد مناف الا تعرفون قصيدة ابي طالب اللامية؟

جزى الله عنا بني عبد شمس ونوفل عقوبة شر عاجلا غير اجل

به زانه لا يبخس شعيرة

فبنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وابن عبد شمس فاما بنو هاشم فراسهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا الفرع خرج منه هذا الرجل ازكى البرية اجمعين ، وأما بنو المطلب فهم ابناء عمومته ، المطلب

ابن عبد مناف ، واما بنو نوفل فمن اشهرهم او من اشهر هذا الفرع من ؟ جبير ابن مطعم ابن عدي ابن نوفل ابن عبد مناف ، واما عبد شمس فاشهرهم او اشهر هذا الفرع عثمان ابن عفان ابن امية ابن عبد شمس ، فالشاهد هؤلاء لما فتح النبي (صلى الله عليه وسلم) خيبراً ما تعرفون القصة هذه ؟ ثم اشرك مع بني هاشم بني المطلب فجاءه عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) وجاءه جبير ابن مطعم ابن عدي (رضي الله عنه) فطلب ان يشركهم معه فقال: لم تعطنا واعطيت بنو عمومنا ؟ بني عبد المطلب ؟ وقال عليه الصلاة والسلام الم تعلموا ان بني المطلب لم يفوقوا بني هاشم في جاهلية ولا اسلام ؟ ما كانوا معهم في الحصار في الشعر هذا هو ، فاذا هؤلاء بنو المطلب يدخلون في آل النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلي ابن ابي طالب وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله تعالى عنهم) وارضاهم جميعاً هم اول من يدخل في هؤلاء بل هم الذين شملهم حديث الكساء الذي دعاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) اليه ثم جملهم بالكساء وغطاهم به ثم قال: اللهم ان هؤلاء اهل بيتي فاذهب الرجز عنهم وطهرهم تطهيراً (خرجه مسلم في الصحيح) ، فيدخل فيهم ايضاً ازواجه عليه الصلاة والسلام كما اختار ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في اختياراته وهو حق فان الله (سبحانه وتعالى) قد جعل اهل بيت الرجل ازواجه منهم قال (جل وعلا): (رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) فالشاهد اهل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) هم هؤلاء بنو هاشم ويلحق بهم بنو المطلب ويدخل دخولاً اولياً علي ابن ابي طالب وفاطمة وحسن وحسين (رضي الله تعالى عنهم وارضاهم) فاذا هؤلاء هم الآل ، آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعطف المصنف (رحمه الله تعالى) الصحب على الآل قال وعلى آله وصحبه ، على الآل عطف الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) وهذا من باب عطف العام على الخاص ، فان الصحابة عموم والآل خصوص ، وعلى المذهب عندنا من باب عطف الخاص على العام لان الاصل عندهم اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم) على دينه هم آله فحينئذٍ الصحابة جزء منهم فيكون من باب عطف الخاص على العام ، والذي يترجح لي هو الذي ذكرته لكم اولاً فيكون من باب عطف العام على الخاص ، فالخاص هم هؤلاء الآل والعام هم بقية أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فالشاهد ان هذا من باب عطف الخاص على العام ، وفي الجمع بين الصحب والآل رد على من يقعون في اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الروافض ورد على من يقعون في آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الخوارج فاهل السنة وسط في اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآل بيته بين الرافضة والخوارج فالرافضة يغفلون في آل البيت ويكفرون الصحابة والخوارج

ينصبون العدا لآل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) ويكفرون علياً (رضي الله تعالى عنه) حينما خرجوا عليه في القصة المشهورة المعروفة ويتبرءون منه فاهل السنة وسط فلهذا يستحسن الجمع بين الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) فيجمع بين الآل والصحب وهذه هي طريقة أهل السنة فلا هي طريقة الروافض ولا هي طريقة الخوارج وانما وسط بين هذا وهذا ، فنحن نحب آل بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) ونحب اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فهذا هو الواجب على كل مسلم يخاف الله (سبحانه وتعالى) ويتقيه ويدري سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقوله (رحمه الله تعالى): (معنى اصول الفقه) هذا سيأتي معنا عند قوله (فصول من اصول الفقه) وسنبين معنى اصول الفقه باعتباره لقباً على هذا العلم وباعتباره مضافاً مركباً من جزأين مضاف ومضاف اليه ، وقوله (رحمه الله): (هذه ورقات) هذه اشارة الى هذا الذي كتب وهل يصح الاشارة الى شيء لم يكتبه بعد ؟ نعم في حال واحدة وهي اذا ما تصور في الذهن ، او كتب هذه المقدمة ان كان قد كتبها بعد ان فرغ من الكتاب فان الاشارة لا تكون لمعدوم وانما تكون لموجود فاذا كانت مكتوبة فمعنى هذه الكتابة كتبت بعد ، فالاشارة الى موجود حقيقي والا فتكون الاشارة الى شيء معلوم بالذهن فنزله مكان او منزلة الموجود حقيقة ، المسائل هذه المتصورة نزها فاشار اليها (هذه ورقات) والورقات جمع وهو احد جموع القلة قال ابن مالك :

افعلة افعل ثم فعل ثمة افعال جموع قلة .

فافعلة وفعلة من موع القلة فورقة مفردة جمعها ورقات ، فهذه من جموع القلة الورقات من جموع القلة وجموع القلة هي ما حدد وحصر العدد فيها فيما دون العشرة ما فوق الثلاثة الى العشرة وقد ياتي في بعض الاحيان مطلقا على ما هو اكبر من ذلك لكن الحكم في هذا لما جرى الاصطلاح عليه ، ما جرى عليه الاصطلاح فالاصطلاح ان هذه اللفظة من جموع القلة جمع مؤنث سالم ورقات واحدا ورقة ، فهذه الورقة جمعها ورقات وهذه الورقات عبر عنها المصنف في هذه العبارة من باب التحفيز على حفظها والاعتناء بها والحث على ذلك لان الشيء اذا قلته سهل في عين المخاطب (ويقللكم في اعينهم) لماذا ؟ (ليقضي- الله امراً كان مفعولاً) لانك لو رايت العدد الكبير ربما تخوفت من القتال فحينما يقلل تبذل وتقدم فهنا حينما قال ورقات يعني سهلة يسيرة فيرغبك فيها ويحثك على الاعتناء بها وان امرها سهل فلا تتخوف فالورقات هذه قال الله (سبحانه وتعالى) ذاكراً لهذه اللفظة وان كان جمع من المفسرين يذهبون ان المراد بها ورقات الاشجار: (ما تسقط من ورقة الا يعلمها) فورقة وورقتين وثلاث حينما تكتب فيها هذه الفوائد العلمية

يتشجع الطالب والسامع ويتحفز للاعتناء بها وحفظها .

وقوله (تتضمن على فصول) الفصول جمع فصل ، والفصل في اللغة الحد المانع بين شيئين وفي العلم هو الذي يفصل المسائل المندرجة تحت كتاب ان كانت ضمن كتاب او لم يكن هناك كتاب داخلي فانه يفصل مسائل هذا الكتاب بعضها عن بعض ، وانواعها نوعاً عن نوع فيقال فيه فصل فلا تلتبس عليك المعلومات بسبب تداخلها وانما تتميز والفصول جمع لهذا الفصل وقوله (من اصول الفقه) اصول جمع اصل والاصل ما يبني عليه غيره كما بين المصنف (رحمه الله) قال الله (تبارك وتعالى): (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) الاية ، واصل كل شيء اساسه الذي يبني عليه فاصل البيت قواعده واصل الجدار اساسه الذي يقام عليه ، فهكذا الاصل هنا ، الاصول جمع اصل ، والاصل ما يبني عليه غيره ، فالاصول هنا يبني عليها الفروع التي هي مسائل الفقه فلما كان الامر كذلك سميت اصول:

ثم اليها قربوا الاصولا لغيرهم فاصلوا اصولا

فلا بد لكل شيء من اصل يبني عليه فعلم الفقه يبني على اصول الفقه والفرع الذي هو المسائل الفقهية مبنية على هذا فاذاً الاصول جمع اصل ، والاصل ما يبني عليه غيره ، والفقه في اللغة الفهم ، وفي الاصطلاح معرفة الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية ، وهناك تعريفات اخرى غير ذلك قيل في هذا ولكن هذا اشهرها فمعرفة الاحكام الشرعية من ادلتها التي تستنبط منها يقال له علم الفقه فالشاهد هذا هو تعريف الاصول باعتبار كونه مركباً من جزأين مضاف ومضاف اليه ، واما ما يتعلق بكونه لقباً على هذا الفن فان شئتم اخرناه وان شئتم قدمناه لانه سياطينا فيه مناقشات يسيرة جداً مع علماء الاصول لنخلص منها ، لان هذه المناقشة في ثلاثة تعريفات اشتهرت وترددت وتكررت في اكثر كتب الاصول فلا احب ان تقلب منها جلستنا باذن الله (تبارك وتعالى) فنورد عليها ما اوردوه فما كان وارداً قبلناه وما كان غير وارد رددناه فلا بد من الوقوف مع هذه الثلاثة التعريفات ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .